الحـذف في الجملة القرآنية

أ.أحمد عبيدلي

جامعة زيّان عاشور- الجلفة

1- مفهوم الحذف:

تتألف الجملة العربية من ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه، وهما عمدتا الكلام ـ كما يرى النحاة، والمسند إليه هو المتحدّث عنه أو المحدّث عنه، ولا يكون إلا اسما كالمبتدأ المخبر عنه وما أصله ذلك و الفاعل ونائبه، والمسند هو المتحدّث به أو المحدّث به[1]، وما زاد عنهما يصفه النحاة بالفضلة، أي أنّ الكلام يمكن أن يتألف من دونها، أما من حيث المعنى فقد لا يمكن الاستغناء عنه، إذ الأصل في الكلام الذكر، ولا يحذف منه شيء إلا بدليل.

وقد توسّعت العربية في الحذف كثيرا، وجرى فيها في جميع أقسام الكلم، فالحذف أحد أساليب الإيجاز البلاغية وإن عدّ أيضا ظاهرة نحوية ، وقد عرّفه الرّماني على أنه" إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام"[2]، والفرق بين الحذف والإيجاز أن يكون في الحذف ثَمّ مقدرٌ نحو ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف:82] بخلاف الإيجاز فانه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمة بنفسه.

---

(1) - ينظر الكتاب. سيبويه. طبعة بولاق. نشر مكتبة المثنى. ج14/1.

(2) - النكت في إعجاز القرآن .ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز. أبو الحسن علي بن عيسى الرماني. تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام. دار المعارف بمصر. الطبعة الثانية. 1968م. ص: 76 .

وإنما يُصار إلى الحذف حينما يكون ذلك أبلغ من الذكر ، لأن النفس تذهب حينها كل مذهب ولو ذكر المحذوف لقصر المعنى على الذي تضمنه البيان، ولذا نرى إمام هذا الفن يتناول هذه الظاهرة في دلائله، ويكثر من الأمثلة والشواهد بتحليل أدبي شائق، وبحث دقيق فائق، مباينا منحى النحاة ومتجاوزا عنه إلى طريقة تجلي أسرار الحذف ودقائقه، وتبين مواطنه، حتى إنا لنراه يصفه بأنه "باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر ،فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق و أتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[1].

ولا ريب أن القرآن الكريم في أسلوبه قد جمع بين الإيجاز والإعجاز، وقلما تصيب لأحد من بلغاء الناس كلاما قد أحكمت ألفاظه من هذه الوجوه كلها، فإنك لتستطيع أن تجد في كل كلام بليغ معاني قد جليت لألفاظها ، ولكنك لا تستطيع أن تجد في القرآن كله إلا ألفاظا لمعانيها، وإن فتشت وجهدت وإن طلبت في ذلك الفرطة والندرة "[2]، و" لاتزال تظهر ما فيه من مكنونات وتكشف ما احتوه من أسرار لا تنتهي، والقرآن معطاء لا يبخل ولا يمنع إذا ما سعيت إليه واستوضحت ما فيه"[3]، ومن ثمة فقد وجدنا أن أفذاذ العلماء في الأجيال المتعاقبة ينهلون من ينابيع لغة القرآن الثرّة ما يروي عطشهم، ويسد رمقهم، ويشبع نهمهم، وهي لا زالت ملأى تفيض متجددة لمن يأتيها يسترويها من فكر، فكان ذلك ممّا دفعني للاقتداء بهم وسلوك سبيلهم في

(1) - دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني. تعليق محمود شاكر .مكتبة الخانجي. القاهرة. الطبعة الثانية. 1989م. ص: 146.

(2) - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. مصطفى صادق الرافعي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. 2000م. ص: 184 .

(3) - القرآن الكريم تاريخيته ولغته. دكتور السيد عبد الغفار. دار المعرفة الجامعية. 1996م. ص:4 .

استجلاء بعض مكامن الإعجاز اللغوي فيه، محاولا تتبع ظاهرة الحذف في جمل آياته بما لها من صور وأغراض.

2- صور الحذف في الجملة القرآنية :

للجملة القرآنية دلالتها المطوية، وهي دلالة مايذكر على مايقدّر اعتمادا على القرينة، وعليه فقد جرى الحذف فيها في جميع أنواع الكلم، وأتى على كل الصور الممكنة، وهي:

أ -حذف الجزء من الكلمة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:120]، فحذفت النون من الفعل (يك)، وقوله تعالى: ﴿ونادوا يامالِ ﴾ [الزخرف:77]، أي: (يا مالك) قرأ بها عبد الله بن مسعود . بحذف الكاف . وهو ترخيم مالك، وبكسر اللام على لغة من ينتظر[1]، وذكر الزركشي والسيوطي أن الحروف المقطّعة في أوائل السور من هذا القبيل[2].

ب - حذف بعض حروف المعاني نحو (لا) في قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ [يوسف:85]، أي: لا تفتأ، وقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يوسف:46]، والتقدير: يا يوسف.

ج - حذف الحرف مع ما ارتبط به نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا (٧٤)إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء:74-75]، أي: ولو ركنت إليهم.

---

(1) - ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ابن عطية الأندلسي. تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمّد. دار الكتب العلمية. بيروت.لبنان. الطبعة الأولى. 1413هـ/1993م.ج65/5.

(2) - ينظر الإتقان في علوم القرآن. السيوطي.تعليق محمّد شريف سكر. مراجعة مصطفى القصاص. دار إحياء العلوم. بيروت. الطبعة الأولى. 1407هـ/1987م.ج168/2.

د – حذف الفعل نحو قوله تعالى: (وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ) [النحل:30]، أي أنزل خيراً.

هـ – حذف الاسم في مواقعه الإعرابية المتباينة، فحذف المبتدأ كما في قوله تعالى: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ .نَارٌ حَامِيَةٌ .) [القارعة:10- 11]، والتقدير: هي نار حامية، وحذف الخبر في قوله تعالى: (وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللائِي لَمْ يَحِضْنَ) [الطلاق:4]، أي: واللائي لم يحضن كذلك، كما حذف المفعول به والمفعول المطلق والظرف، وحذف الحال والتمييز والمستثنى والصفة والموصوف والمضاف والمضاف إليه وغير ذلك[1].

و– حذف الجملة نحو قوله تعالى: (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا .) [البقرة:60]، أي فضرب فانفجرت[2].

ز–حذف الجمل نحو قوله تعالى: (أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ.يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا...) [يوسف:45- 46]، أي فأرسلوه فأتى يوسف فقال له، فحذف ثلاث جمل.

3– دليل الحذف:

والحذف لا يأتي جزافا فـ" من سنن العرب ألا تحذف شيئا إلا إذا أبقيت في النص ما يدل عليه"[1]، ودليل الحذف نوعان : أحدهما غير صناعي وينقسم

(1) – ينظر مغني اللبيب.ابن هشام الانصاري. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. نشر دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان.ج624/2 ومابعدها.

(2) – ينظر معاني القرآن. أبو زكرياء يحي بن زياد الفراء. مطبع دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة. 1374هـ/1955م. ج40/1.

إلى حالي ومقالي والثاني : صناعي وهذا يختص بمعرفته النحويون وهو ما اقتضته الصناعة وذلك بأن تجد خبرا بدون مبتدأ أو العكس ، أو شرطا بدون جزاء أو بالعكس ، أو معطوفا بدون معطوف عليه أو معمولا بدون عامل نحو : (ليقولن :الله) ونحو (قالوا خيرا).

وهناك شروط للدليل اللفظي ،منها أن يكون طبق المحذوف، وأن لا يكون ما يحذف كالجزء ، وأن لا يكون مؤكدا، و أن لا يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر ، وأن لا يكون عاملا ضعيفا كما لا يكون عرضا في شيء وأن لا يؤدي حذفه إلى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه ، ولا إلى إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل القوي ثم قطعه عنه .

وعموما فإن تصورنا لما هو محذوف في الجملة القرآنية ينبني على أمور منها ما يرجع إلى المقال أو الحال، ومنها ما حاول علماء اللغة ربطه ببعض ما تقتضيه الصناعة النحوية، فالأصل أن لا يقدّر محذوف إلا إذا دعت الحاجة إليه، فإن عدم التقدير أولى من التقدير، ولا أدلّ على ذلك من ثورة ابن مضاء على نظرية العامل، وكثير من المسائل غير العملية التي جلبتها هذه النظرية على النحو العربي، والتي يظهر فيها العي والتكلّف ممّا يخرج الكلام عن فصاحته وبلاغته ويمجّه الذوق السليم، إلا أنني حاولت استجلاء بعض التراكيب القرآنية التي قد يتجّه فيها الحذف بناء على القرائن والأدلة منها:

---

(1) - التوجيه النحوي للقراءات في سورة البقرة. الطاهر قطبي .ديوان المطبوعات الجامعية. بن عكنون . الجزائر . 1991م. ص: 196 .

1- أن يكون في الكلام مبتدأ لا خبر له أو خبر لا مبتدأ له، كقوله تعالى:(إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) [الذاريات:25]، أي: سلام عليكم أنتم قوم منكرون فحذف خبر الأولى ومبتدأ الثانية[1].

2- أن يقتضي المقام ذكر شيئين أو أكثر بينها تلازم وارتباط فيكتفى بأحدها اعتمادا على الفهم بالمقابل، وهو ما يسمى عند البلاغيين بالاكتفاء نحو قوله تعالى: (لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ) [الحديد:10]، أي ومن أنفق بعده وقاتل، لأن الاستواء يطلب اثنين[2]. ومنه قوله تعالى: (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ...) [النحل:81]، أي: والبرد، ومثله أيضا الاحتباك، وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من كل منهما مقابله لدلالة الآخر عليه، كما ورد في قوله تعالى: (لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا.) [الأحزاب:24]، والتقدير: ويعذّب المنافقين إن شاء فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم فلا يعذّبهم، فحذف من الأوّل (فلا يتوب عليهم) لدلالة الثاني (أو يتوب عليهم)، وحذف من الثاني (فلا يعذّبهم) لدلالة الأوّل (ويعذّب المنافقين[3].

3- أن يكون في الكلام مقول ولم يذكر فعل القول، أو أن يذكر فعل القول ولم يذكر المقول. فمن الأوّل وهو حذف فعل القول قوله تعالى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

(1) - ينظر مغني اللبيب. ج603/2.

(2) - البرهان في علوم القرآن. بدر الدين الزركشي. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. دار إحياء التراث العربية.الطبعة الأولى. 1376هـ/1957م.ج204/3.

(3) - ينظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. شهاب الدين محمود الألوسي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. الطبعة الرابعة. 1405هـ/1985م.ج173/21.

[البقرة:127]، أي: يقولان أو قائلين، وقوله: (وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ .سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ). [الرعد:24] أي: يقولون[1].

ومن الثاني قوله تعالى: (قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ) [يونس:77]، أي: أتقولون للحق لمّا جاءكم: هو سحر؟ فحذف قولهم (هو سحر) وذكر فعل القول وهو(أتقولون)، والمقول مفهوم ممّا بعده وهو (أسحر هذا؟)، وعقّب عليهم بقول موسى عليه السلام (ولا يفلح الساحرون).

4- أن يكون في الكلام حرف جر أصلي غير زائد أو ظرف وليس في الجملة ما يتعلّق به كقوله تعالى: (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلا مُفْتَرُونَ) [هود:50]، أي أرسلنا، وقوله تعالى: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ) [الأنبياء:81]: أي: سخّرنا.

5 – أن يتعدى فعل في أصله بحرف ثمّ لا نجده في الجملة كقوله تعالى: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ...) [البقرة:25]، والتقدير: بأنّ لهم جنّات، فدلّ ذلك على حذف الباء.

6- أن نجد صفة وليس لها موصوف أو موصوفا يقتضي المعنى أن تكون له صفة ولم تذكر، فمن الأوّل قوله تعالى: (أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ .) [سبأ:11]، أي: دروعا سابغات: فحذف الموصوف، ومن الثاني قوله تعالى: ... (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) [الكهف:79] أي: سفينة صالحة، فحذفت الصفة.

7- أن يوجد في الكلام ما يستدعي الجواب ولا جواب له أو العكس وذلك كالقسم والشرط، فقد تذكر القسم أو الشرط ولا تذكر جوابه، أو تذكر

---

(1) - البرهان.ج196/3-197.

الجواب ولا تذكر القسم أو الشرط، فيستدلّ بأحدهما على الآخر كقوله تعالى: (وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) [الأنفال:50]، وقوله تعالى: (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) [ق:01] و"التقدير: والقرآن المجيد إنك لرسول الله بالحق،...أو يقدر الجواب: إنه لتنزيل من رب العالمين...والقسم بدون جواب لا يعتبر كلاما تاما فتعيّن أن يقدّر السامع جوابا تتم به الفائدة يدل عليه الكلام"[1].

8ـ أن يشتمل الكلام على ما لا يصلح إجراء مذكور واحد عليه، فيستدل بالمذكور على المحذوف،نحو قوله تعالى: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ..) [الحشر:9]، والإيمان لا يتبوأ وإنّا تُتبوأ الدور، وتقدير الكلام: واعتقدوا الإيمان[2].

9-أن يدلّ عليه العقل كالحذف الوارد في قوله تعالى: (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى . فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى .وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى .فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى [النازعات:17...20]، أي فذهب فأراه.

4- أنواع الحذف:

يمكننا أن نقسم الحذف إلى أنواع بحسب مقياس التصنيف وزاوية النظر،فمنها:

1- الحذف الواجب والجائز: فالأوّل كحذف المبتدأ وجوبا في قوله تعالى: (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ... [يوسف:18] أي:فصبري، وحذف الخبر وجوبا في مثل قوله تعالى: (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)

---

(1) - تفسير التحرير والتنوير. محمّد الطاهر ابن عاشور. دار سحنون للنشر والتوزيع. تونس. ج277/26.

(2) - البرهان. ج124/3.

[الحجر:72]، والثاني كالحذف الوارد في قوله تعالى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ...) [سبأ:24].

2 ـ الحذف الذي يتعيّن فيه تقدير معين والذي لا يتعيّن فيه التقدير، فمن الأوّل قوله تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) [الزخرف:87]، أي: خلقهن الله، ومن الثاني تقدير بعض أجوبة الشرط والقسم نحو قوله تعالى: (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) [ص:01]، وكما في قوله تعالى: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ...) [البقرة:197]، فيمكنك أن تقدّر: أشهر الحج أشهر معلومات، أو: الحجّ حجّ أشهر معلومات، ومن ذلك قوله تعالى: (وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ...) [النساء:171]، فذكر سيبويه أن تفسيره" انتهوا عن التثليث وائتوا خيراً لكم، وقال الكسائي: التقدير: انتهوا يكن خيرا لكم...، وقال الفراء: لو كان على إضمار (كان) لجاز: اتق الله محسنا أي تكن محسنا وهو عنده بتقدير: انتهوا انتهاء خيرا لكم، وقولهم حسبك خيرا لك ووراءك أوسع لك ،بتقدير: حسبك وائت خيرا لك ووراءك وائت مكانا أوسع لك... وكذا قوله:

فَوَاعِدِيهِ سَرْحَتَيْ مَالِكٍ أَوِ الرُّبَى بَيْنَهُمَا أَسْهَلاَ.

أي قولي ائت مكانا أسهل...أنك نهيت في الأوّل عن شيء ثمّ جئت بعده ما لا تنهى عنه، بل هو مما يؤمر به، فيجب أن ينتصب بائت أو اقصد أو ما يفيد هذا المعنى"[1].

(1) - شرح الرضي على الكافية. رضي الدين الاسترابادي. مطبعة الشركة الصحافية العثمانية.1310هـ. ج1/196. والشاهد الشعري من بحر السريع ،وهو لعمرو بن أبي ربيعة .ينظر ديوانه .وقف على طبعه وتصحيحه.بشير يموت .ط1.المكتبة الأهلية .بيروت.1353ه/1934م. ص:213.ورواية الشطر الثاني فيه :

.....أو الربى دونهما منزلا.

3- الحذف الذي ورد لأمثاله ذكر وقد أمكن حمله عليه، والذي لم يرد لأمثاله ذكر: فمن الأوّل قوله تعالى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ..) [البقرة:127]،وقوله تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ..)[الأنفال:30]، إذ ذكر متعلق الظرف (إذ) في قوله تعالى: (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ...) [الأنفال:26]، وقوله تعالى: (وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلا فَكَثَّرَكُمْ ..) [الأعراف:86]، و"يستدل على أن (واذكروا) مضمرة مع (إذ) أنه قال: (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ...) .... ولا يجوز ذلك في الكلام بسقوط الواو إلا أن يكون معه جوابه متقدّما أو متأخرا كقولك (ذكرتك إذ احتجت إليك) أو (إذ احتجت ذكرتك)"[1].

4- الحذف الذي يدلّ على معنى واحد والحذف الذي يدل على أكثر من معنى بحسب التقدير، فمن الأوّل قوله تعالى: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا...) [الرعد:35]، أي: وظلها دائم،ونحو (مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ...) [ص:41]، أي: كثير.

ومن الثاني قوله تعالى: (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا .) [النساء:160]، فهذا يحتمل صدا كثيرا ويحتمل خلقا كثيرا ويحتمل وقتا كثيرا، ومن ذلك قولهم (رأسك والجدار) فهذا يحتمل تحذير المخاطب لحفظ رأسه من الجدار ويحتمل معنى آخر وهو دع رأسك والجدار[2]، بمعنى اضربه عليه إن شئت.

ومن الثاني أيضا قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ..) [الأعراف:96]، وقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا

(1) - معاني القرآن. الفراء. ج1/35.

(2) - ينظر الكتاب.. ج1/151.

عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا) [النساء:66]، إذ لم يثبت تقدير ثبت بين (لو) و(أن) كما هو الأمر عند النحاة.

5- أغراض الحذف في الجملة القرآنية:

من أبرز أغراض الحذف في الجملة القرآنية :

1- الإيجاز والاختصار عند قيام القرائن : نحو قوله تعالى (فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ) [البقرة 23،24] .أي فإن لم تفعلوا ذلك ولن تفعلوه ، ونحو (فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ) [فاطر: 3]، أي فذوقوا العذاب [1] .ونحو (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدا) [المدثر:11] أي خلقته ، ومثل ذلك قول العرب: الهلال والله: أي هذا ، ونحو قول راد التحية (وبك) لمن قال له : مرحبا بك ، أي: ومرحبا بك .

2 -ظهور المعنى: وذلك نحو قوله تعالى: (أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا) [الرعد:35] أي دائم ، وقوله: (وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ) [البقرة:25] أي: بأن .

ومن ذلك قول :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ والرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

(1) ينظر شرح التصريح على التوضيح. خالد بن عبد الله الأزهري. دار إحياء الكتب العربية. ج1/314. البرهان 3/163 .

" فوضع في موضع الخبر لفظ الواحد لأنه قد علم أن المخاطب سيستدل به على الآخرين في هذه الصفة "[1]. ومن ذلك قوله تعالى: (وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ) [آل عمران:180] " كأنه قال : ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرا لهم ولم يذكر البخل اجتزاء بعلم المخاطب بأنه البخل لذكره " يبخلون " ومثل ذلك قول العرب " من كذب كان شرا له " يريد كان الكذب شرا له إلا أنه استغنى بأن المخاطب قد علم أنه الكذب لقوله " كذب " في أول حديثه[2].

جاء في(معاني القرآن) للفراء: " وإذا كان المعنى معلوما طرح منه ما يرد الكلام إلى الإيجاز"[3]، ويدخل في ذلك باب الإيجاز والاختصار لعلم المخاطب به ، ومما يقع من هذا الباب من كلام الناس ولا يدخل في باب الإيجاز، نحو ما إذا أعرض المتكلم عن ذكر أمر يعلمه المخاطب ولا يعلمه الآخرون وليس في الكلام ما يدل عليه ، وذلك كأن يكون أمر أو شأن من الشؤون فيقول له (إعلم إن لم تأتني الليلة) ويسكت عن الجواب لعلم المخاطب بما سيكون المعنى فاتتك الفرصة أو لم أعطك ما اتفقنا عليه ونحو ذلك.

3- مراعاة الأسجاع والفواصل : إن القرآن الكريم يراعي الفاصلة ولكن ليس على حساب المعنى، و إنما يراعيهمامعا فيزداد التعبير حسنا على حسن،

---

(1) - الكتاب. ج1/31 . والشاهد الشعري من بحر المنسرح لقيس بن الخطيم. ينظر. المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية .د .إميل بديع يعقوب.ط1.دار الكتب العلمية.بيروت.1417هـ/1996م ج5/56.

(2) - الكتاب.ج1/395.

(3) - معاني القرآن. ج2/278.

من ذلك قوله تعالى: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) [الضحى:3] وقوله: (إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى) [طه:3][1]،فحذف المفعول مراعاة للفاصلة .

ومن ذلك قوله تعالى :(وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) [الفجر:4] فقد حذف من الفعل الياء، ولا شك أن هذا الحذف أنسب للفاصلة قبلها وبعدها كما هو واضح، قال تعالى: (وَالْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ. وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ. وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ. هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ) [الفجر:1-5]. فالمقام حسّن أيضا حذف الياء إضافة إلى الفاصلة، وذلك أنه قال بعد هذه الآية هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ والحجر معناه العقل، وقد سمي حجرا لأنه يحجر صاحبه عن فعل ما لا يليق، أي: يحبسه ويمنعه عنه، فيقيد حركته ولا يدع حبله على غاربه يفعل ما يشاء فيطغى في الأرض كما ذكر بعد هذه الآيات عن عاد وثمود وفرعون الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد .

فحذف الياء من الفعل" يسري " إشارة إلى تقييد حركة الليل وجعلها بقدر فلا يطغى على النهار ولا يسبقه، وهذا التقييد مناسب لتقييد ذي الحجر وعدم تركه يفعل ما يشاء .

والحذف من الفعل إشارة إلى تقليل الحدث وتقييد عدم تمامه وارد في القرآن الكريم، وذلك كما في قوله: (فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) [الكهف:97]، وكما في قوله " لم يك " و" لم يكن " وغير ذلك من المواطن[2].

فالحذف من حركة الليل وسريانه شبيه بالحد من حركة صاحب الحجر، ثم من ناحية أخرى هو مناسب لقوله تعالى في آخر السورة (فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ

---

(1) - ينظر البرهان. ج107/3.

(2) - ينظر التعبير القرآني. فاضل صالح السامرائي. مطابع جامعة الموصل. 1989م ص: 72 وما بعدها.

عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ) [الفجر:25-26]، فإن الغاية من الوثاق تقييد الحركة وعدم إطلاقها، وهذا الوثاق في آخر السورة مناسب للحجر في أول السورة، فالذي لا يحجر أفعاله وأعماله بمقتضى العقل والشرع سوف يوثق ويحجر عليه في الآخرة، و هو مناسب لتقييد حركة الليل وعدم إطلاقها.

فحذف من حركة الليل وحدها، وحذ من حركة صاحب الحجر، وحذف ما لا يليق أن يفعله، وأوثق من لم يحد من حركته في الدنيا وثاقا بالغا في الآخرة، والذي زاد ذلك حسنا أنه حذف الياء من آخر الفعل، وهذا الحذف لا يبهم ولا يلبس، فإن الياء قد تحذف من الكلمة كثيرا ويجتزأ عنها بالكسرة سواء كان ذلك في الفاصلة أو غيرها، وسواء أكان ذلك ضميرا للمتكلم أم حرفا من بنية الكلمة ،وذلك كقوله تعالى: (أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) [البقرة:186] وقوله: (لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ) [غافر:15]، وقوله تعالى: (إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) [يس:25]، وقوله: (ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ) [الكهف:64]، فهذا كثير في الفاصلة وفي غيرها، فانظر كيف راعى الفاصلة والمقام في هذا الحذف ولم يغلب جانبا على آخر، وأما قوله تعالى: (طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى) [طه:1- 4] ، قدره بعضهم" لمن يخشى القرآن " أو يخشى الله .

والذي يبدو أن الحذف هاهنا ليس للفاصلة وإنما لإطلاق الخشية، أنه لايراد تقييده بمخشي معين لأن المقصود أن القرآن تذكرة لمن صفته الخشية ومن في قلبه لين، فإن الذي في قلبه خشية مرجو له التذكر والانتفاع ، ولذا قال تعالى عن فرعون: (فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) [طه:44] أي يلين قلبه، فهو تذكرة لمن يخشى الله ولمن يخشى القرآن، ولمن يخشى اليوم الآخر، ولمن في قلبه خشية ولين على العموم.

وقد جوّز الزمخشري أنه ليس فيه حذف وإنما المعنى : يخشى تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى : فـ " تنزيلا " مفعول " يخشى" قال في (الكشاف) بعد أن ذكر جملة من أوجه إعراب " تنزيلا" : (وأن ينصب " تنزيلا" بـ (يخشى) مفعولا به أي أنزله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن وإعراب بيّن)[1] .

واعترض صاحب"البحر المحيط "على هذا،قائلا" لأن يخشى رأس آية وفاصلة، فلا يناسب أن يكون (تنزيل)مفعولا بيخشى "[2].

والحق أنه لا مانع أن يكون رأس الآية يطلب مفعولا أو معمولا بعده فإن لهذا نظائر في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى: (مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) [الزمر:40]،وقوله:(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ) [.الصافات:108-109]،وقوله: (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ. إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ. فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ. ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ. مِن دُونِ اللَّهِ) [غافر: 70-78]، وأوضح من هذا كله قوله تعالى: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩)عَبْدًا إِذَا صَلَّى) [العلق:9-10]فـ (ينهى) رأس آية ونصب مفعولا به وهو (عبدا).

ا-عدم تعلق غرض بذكره : فكثيرا ما يقع في القرآن الكريم حذف ما لا يتعلق غرض بذكره ويذكر ما هو محط الفائدة، ويكثر هذا في القصص القرآني فمن ذلك قوله تعالى عن موسى عليه السلام : (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى. وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى. فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى)

(1) - الكشاف عن حقائق التنزيل. الزمخشري. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر. 1367هـ/1946م. ج2/295.

(2) - تفسير البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي الغرناطي. دار الفكر. بيروت. الطبعة الثانية. 1983م. ج6/225.

[النازعات:18 -21]، فأنت ترى أنه انتقل رأسا من تكليفه بالرسالة إلى موقف فرعون ولم يذكر أنه ذهب إليه وقابله لأنه لا يتعلق غرض بذكره فإنه مفهوم من السياق ولكن ذكر ما هو محط الاهتمام وهو فحوى الرسالة وموقف فرعون وعاقبته ومآله، ونحو ذلك ما جاء في سورة يوسف عن إرسال رسول إلى يوسف ليؤول رؤيا الملك ، قال تعالى: (أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ. يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ) [يوسف:45-46]، فذكر موطن الاهتمام وما عليه مدار القصة وحذف مالا يتعلق غرض من ذكره فلم يذكر أنهم أرسلوه فأتى يوسف فقال له: يوسف أيها الصديق، فهذا من الفضول وهو معلوم من السياق.

ونحو ذلك ما جاء في قصة سليمان والهدهد في أمر ملكة سبأ ، فقال له سليمان: (اذْهَب بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ. قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ . إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) [النمل:28-30]، فإنه ذكر بعد التكليف مباشرة قول الملكة إنه ألقي إليها كتاب كريم، ولم يذكر أن الهدهد حمل الرسالة وذهب إلى سبأ ولا المدة التي قضاها للوصول ، ولا أنه دخل القصر وألقاه إليها ولم يذكر كيف ألقاه ولا أين كانت عندما ألقاه ، فإن ذلك لا يتعلق غرض بذكره ولا هو موطن الاهتمام والعبرة ؛ ومثل ذلك كثير في القرآن الكريم .

5- الاتساع والتجوز: الاتساع ضرب من ضروب الحذف تقيم فيه المذكور مقام المحذوف وتعربه إعرابه [1]، وذلك نحو: (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) [يوسف:82]، يريد أهل القرية ونحو (بنو فلان يطؤهم الطريق) يريدون أهل الطريق ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ [الأنعام : 02] ففي الكلام حذف مضاف أي خلق أصلكم، إذ لا نرى كل فرد من البشر يخلق من طين ، بل عن طريق التوالد، فأشار بذلك إلى آدم

(1) - كتاب الأصول 265/2 .

عليه السلام وهو أبو البشر وأصلهم، والمفهوم يدخل ضمنه كل فرد من البشر فاختصر في العبارة.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام : 92] فإنذار أم القرى هو إنذار لجميع أهلها وهذا من مجاز الحذف، ففي الكلام حذف مضاف: أي ولتنذر أهل أم القرى، وأم القرى مكة، وسميت مكة أم القرى لأنها أقدمها وأشهرها، و" لأنها منشأ الدين، ولدحو الأرض منها ولأنها وسط الأرض، ولكونها قبلة وموضع الحج ومكان أول بيت وضع للناس "[1]، **وقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ ﴾** [سبأ:33] أي بل مكركم بالليل والنهار، فالليل والنهار لا يمكران ولكن يمكر فيهما.

ومن ذلك قول الخنساء :

تَرْتَعُ مَارَتَعَتْ ،حَتَىَ إذا ادَّكَرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَـالٌ وَإِدْبَـارٌ

فجعل الإقبال والإدبار على سعة الكلام، ونحو " نهارك صائم وليلك قائم " والمعنى أنك صائم في النهار وقائم في الليل، ومنه قولهم "هذا الظهر أو العصر أو المغرب" إنما يريدون صلاة هذا الوقت[2]، ونحو ذلك كثير .

والظاهر أن الاتساع من باب المجاز قد يراد به المبالغة أو أي غرض من أغراض المجاز ،وإن كان أصله من باب الحذف ،فقوله تعالى: (واسئل القرية) من باب المجاز المرسل أطلق فيه المحل وأريد الحال، وقوله (بنو فلان يطؤهم

---

(1) - تفسير البحر المحيط.ج179/4.

(2) - ينظر كتاب الأصول. ابن السراج. تحقيق عبد الحسين الفتلي. مطبعة النعمان. النجف. ج265/2. 266.

والشاهد الشعري من بحر البسيط .ينظر ديوان الخنساء.اعتنى به وشرحه:حمدو طماس.ط2 .دار المعرفة. بيروت. لبنان.1425هـ/2004م ص:46، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية ج177/3.

الطريق) و" مكر الليل والنهار"،و" نهارك صائم وليلك قائم " من المجاز العقلي، وهو تعبير مبني على السعة والتجوز وليس مبنيا على حقيقة الكلام فإن المحذوف أصبح نسيا منسيا.

فقول الخنساء " فإنما هي إقبال وإدبار " يراد به المبالغة على معنى الناقة تحولت إلى حدث وانمحى عنها الذات وذلك لوقوع الحدث منها على سبيل الكثرة، وإما تقدير الكلام :إنها ذات إقبال ،أو على تأويل المصدر باسم الفاعل،أي مقبلة ومدبرة فلا يفيد الكثرة ولا المبالغة ،بل يقال ذلك وإن حدث مرة واحدة، وكذا قولهم " نهارك صائم وليلك قائم" ،فإنه معلوم أن النهار لا يصوم والليل لا يقوم ،وإنما يصوم من فيهما ويقوم من فيهما غير أنه أسند ذلك إليهما تجوزا فكأنهما هما الصائم والقائم للمبالغة ودلالة على إكثار المخاطب الصيام والقيام في النهار والليل، ولا يقال ذلك لمن صام مرة واحدة وقام مرة واحدة، كما أن فيه حسنا وجمالا بإضفاء الحياة والإرادة على الليل والنهار ومشاركة الإنسان في عمله، والمجاز والتفنن في الكلام مرغوب فيه .

6- الاستهجان : لاستقباح التصريح، ومن ذلك قوله تعالى: (مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) [المائدة:75] فقد ذكر من صفات البشرية أكل الطعام ولم يذكر ما بعد ذلك ما يقتضيه الأكل، فلم يصرح به استهجانا له بذكره، وكقول عائشة رضي الله عنها "ما رأى مني ولا رأيت منه"[1]. وكعموم ما يستقبح التصريح بذكره كذكر القيء ونحوه مما يستهجن على مائدة الطعام ، ونحو ذلك أن تقول : كيف يكون فلان وهو يأكل ويشرب و... و .. ؟ أي يحدث، فتعرض عن ذكر ذلك استهجانا لذكره.

---

(1) - شرح التصريح. ج1/314 .

7- الاحتقار:وجعلوا منه قوله تعالى: (كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [المجادلة:21] أي: الكفار[1]، فحذفهم استحقارا لهم فإنه لا يحسن مقابلة الله وقوته قدرته بالكفار فأخرجه مخرج العموم ، وقد قيل قديما:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرُهُ إِذَا قِيلَ إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ العَصَا

8- التفخيم والتعجيب والتهويل: وذلك لأن في الحذف يذهب الذهن كل مذهب لما فيه من الإبهام والتهويل ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ﴾ [الأنعام : 27] ، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ ﴾ [الأنعام : 30] ، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ [الأنعام :93] وتقديره في هذه المواضع (لرأيت عجبا)، أو (أمرا عظيما) ،أو (لرأيت سود منقلبهم) ،أو(سود حالهم).

ونحو ذلك قوله تعالى:(وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) [الأنفال:50]، وقوله تعالى: (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ) [سبأ:51]، وقوله تعالى: (إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ) [الانشقاق:01]، وقوله تعالى: (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) [الزمر:73]، فقد جعل الجواب مما يضيق الكلام عن وصفه جاء في (شرح الرضي على الكافية):"حذف الجزاء لتفخيم الأمر غير عزيز الوجود كما في قوله تعالى: (إذ السماء انشقت) أي تكون أمور لا يقدر على وصفها "[2].

جاء في (البرهان): "وحذف الجواب يقع في مواقع التفخيم والتعظيم ويجوز حذفه لعلم المخاطب به. وإنما يحذف بقصد المبالغة لأن السامع مع

(1) - البرهان. ج164/3 .

(2) - شرح الرضي على الكافية.ج112/2.

أقصى تخيله يذهب منه الذهن كل مذهب ولو صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصرح به فلا يكون ذلك الوقع "[1].

و أكثر ما يرد حذف الصفة للتفخيم والتعظيم في النكرات، وكأن التنكير حينئذ علم عليه. ومن حذف الصفة قوله تعالى : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ.﴾ [الأنعام : 66] ، أي قومك المكذبون.

9- العموم والإطلاق: فإن صيغة الأمر(أحسنوا) في قوله تعالى:(وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [البقرة:195]،حُذف منها المتعلق سواء كان مفعولا ،نحو :أحسنوا الظن بالله، أو كان مجرورا ،نحو أحسنوا في أعمالكم لتفيد ذين المعنيين ،وأبعد منهما وهو مطلق الإحسان، ونحو قوله تعالى: (إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) [يوسف:90]، فإنه لم يقيد الاتقاء بشيء معين ،بل أطلقه في كل ما يحسن اتقاؤه ، والقرآن الكريم قد يقيد الاتقاء وقد يطلقه، فمن تقييده قوله تعالى: (وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ) [الطلاق:01] وقوله تعالى: (...فاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) [البقرة:24]، وقوله تعالى: (واتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً) [الأنفال:25]، وقوله :(وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ) [البقرة:281] وما إلى ذلك، ومن إطلاقه آية يوسف السابقة (إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) ،وقوله تعالى: (هَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [الأنعام:155] .ففي هذه الآية قيد الاتباع وأطلق الاتقاء ، أما الاتباع فقيده باتباع الكتاب، وأما الاتقاء فأطلقه في كل ما ينبغي اتقاؤه، وقد بين الشرع ما ينبغي اتقاؤه قال تعالى : (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ) [التوبة:115].

---

(1) - البرهان. ج3/183.

ومن الإطلاق قوله تعالى: (وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) [البقرة:285] فقد أطلق السمع ولم يقيده بمسموع معين ، وأطلق الطاعة فلم يقيدها بأمرٍ معين والمراد بهما كل ما يأمر به الله سبحانه .

ومنه قوله تعالى: (فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) [الليل:5-6] فأطلق العطاء والاتقاء ولا شك أنه يقصد عطاء طاعة واتقاء ما ينبغي اتقاؤه ،ونحوه قوله تعالى : (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً) [الأعراف:44] .فقال في أصحاب الجنة: (ما وعدنا ربنا) وأطلق في أصحاب النار فقال: (ما وعد ربكم) ،ولم يقل " ما وعدكم" ،ذلك لأن أصحاب النار كانوا منكرين الوعيد أصلا ،لا وعدهم به فقط، فكأنه قال : هل وجدتم وعد ربكم حقا؟،أما أصحاب الجنة فكانوا ينتظرون ما وعدهم به ربهم من الكرامة والخير فقالوا : ما وعدنا[1]، ونحو ذلك كثير .

10 -التوسع في المعنى: وذلك نحو قوله تعالى: (لا يَفْقَهُونَ إِلا قَلِيلا) [الفتح:15] فهذا يحتمل أن يكون المراد فقها قليلا فيكون مفعولا مطلقا ويحتمل أن يكون المراد أنهم لا يفقهون إلا قليلا من الأمور فيكون مفعولا به ، والمعنيان مرادان، فهم ليس عندهم إلا قليلا من الفقه ولا يفقهون إلا قليلا من الأمور، فهذا الحذف للتوسع في المعنى، ولو قال إلا فقها قليلا، أو قال: قليلا من الأمور لتقييد المعنى بأمر واحد .

ونحوه قوله تعالى: (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [التوبة:82] فهذا يحتمل أن يكون المراد فليضحكوا زمنا قليلا وليبكوا زمنا كثيرا، ومن المحتمل أن يكون المراد فليضحكوا ضحكا قليلا

(1) - ينظر التعبير القرآني. ص: 85 .

وليبكوا بكاء كثيرا ، والمعنيان مرادان: الزمن والحدث أي فليضحكوا ضحكا قليلا زمنا قليلا وليبكوا بكاء كثيرا زمنا كثيرا.

ومن ذلك قوله تعالى: (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [يونس:72] فهذا يحتمل تقدير اللام وتقدير الباء:فهو يحتمل أن يكون المراد" وأمرت لأن أكون " كما في قوله تعالى: (وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) [الزمر:12]، ويحتمل أن يكون المراد" وأمرت بأن أكون " كما في قوله تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ) [طه:132]، وكلا المعنيين مراد، وحذف الحرف للتوسع في المعنى .

ونحو قوله تعالى: (أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ.) [الأعراف:169] ،فهذا يحتمل تقدير (في) و(اللام) و(على) و(الباء) ، فهو يحتمل أن يكون التقدير: (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب في ألا يقولوا)و(وعلى ألا يقولوا)، كما تقول : أخذت عليه ميثاقا على ألاَّ يفعل كما في حديث كعب بن مالك (ولقد شهدت مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين تواثقنا على الإسلام) ،أي تحالفنا وتعاهدنا [1]،ويحتمل (لئلا يقولوا على الله) و(بألا يقولوا على الله)[2]، والمعاني كلها مطلوبة و مرادة، ولو أراد التنصيص على معنى معين لذكر حرفا بعينه، فإذا أراد أن ينص على معنى معين خصصه بحرف معين .

11- الذكر والحذف للتوكيد وعدمه: قد يكون الذكر للتوكيد والحذف لعدمه: ومن ذلك قوله تعالى:(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ...) [البقرة:83]، وقوله: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ

(1) - لسان العرب. ابن منظور. طبعة بولاق. مادة (وثق).ج215/12.

(2) - ينظر روح المعاني 67/9 . البحر المحيط 318/4 .

مُخْتَالا فَخُورًا) [النساء:36] فذكر باء الجر في (بذي القربى) في آية النساء وحذفها من آية البقرة ذلك أن الكلام في سورة النساء على القرابات والتفصيل في أحكامها ابتداء من أوّل السورة فأكد شأن القرابة بذكر الباء ،بخلاف المعطوفات الأخرى من اليتامى والمساكين وغيرهم، وليس الأمر كذلك في سورة البقرة فليس فيها ذكر للقرابات وأحكامها ،بل إنه قد أطلق الإحسان إلى الناس عموما فقال: (وقولوا للناس حسنا).

12 -التنزيه والتعظيم: ومنه قوله تعالى : (قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِير) [الأنعام : 73] فقوله :(عَالِمُ الْغَيْبِ) فيه حذف المخبر عنه بتقدير : أي هو عالم الغيب، وهذا من أسلوب القرآن وذلك في مقام تقدم صفاته ،فحذف المسند إليه في مثله تبعا لطريقة الاستعمال في تعقيب الأخبار بخبر أعظم منها يجعل فيه المخبر عنه مسندا إليه ويلتزم حذفه، ومنه قوله تعالى: ﴿ بدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الأنعام:102].

فقوله ﴿ بَدِيعُ) هو خبر مبتدأ محذوف،أي هو بديع، والحذف ملتزم في مثله إذ شرع في الإخبار لأنها تفيد تقوية التنزيه في قوله تعالى في الآية قبلها من السورة ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُون) وللوجه السابق ذكره، حيث يلتزم حذف المسند إليه الجاري على متابعة الاستعمال عندما يتقدم الحديث عن شيء ثم يعقب عنه بخبر مفرد . وقد نبه الإمام الجرجاني إلى مثل هذه المواضع في حذف المبتدأ حيث قال : "ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ(القطع والاستئناف) يبدءون بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره ، ثم يدعون الكلام الأول ويستأنفون كلاما آخر ، و إذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير

مبتدأ ... وقولهم بعد أن يذكروا الرجل (فتى من صفته كذا) و (أفرُّ من صفته كيت وكيت)"[1].

وبذكري لبعض أغراض الحذف في الجملة القرآنية التي جاءت وفق ما يتلاءم والإيجاز أختم بحثي هذا، حيث رأينا كيف أسهم الحذف في صقل بنية الآية حتى يصل المعنى بأبسط لفظ وبأقل تعقيد،كما تنوعت أشكاله ودلالاته، بحيث أضفى الحذف في كل صنف من هذه الأصناف إلى أسرار بلاغية حسب سياق الآية، فقد يدل الحذف على التعظيم والتفخيم أو لقصد المبالغة والتهويل، أو التخفيف ورعاية الفاصلة وغيرها كثير ممّا ذُكر أو لم يذكر، ويفتح الباب واسعا أمام القراءات المختلفة للنص القرآني ، وزيادة لذة إعمال الفكر في استنباط الذهن للمحذوف وما يضيفه للمعنى من إيحاءات جديدة تطمئن لها القلوب وتُسلم لها العقول .

(1) - دلائل الإعجاز. ص : 147-149 .